سوريا إلى أين

(حلقة نقاش في بيروت، 8-9-2011)

أشكر مركز دراسات الوحدة العربيّة لهذه الدعوة، كما أشكر الإخوة السوريّين الذين تكبّدوا مشقّة السفر لكي نتمكّن من الحديث إليهم وسماع وجهة نظرهم، وجهاً لوجه. وفي هذا السبيل، أكتفي بتوجيه ثلاثة أسئلة في صورة فجّة، ربّما، ولكنْ بهدف إيضاح الأمور بلا مجاملة أو مجادلة.

السؤال الأوّل: لدينا انطباع أنّ المعارضة في تعادل مع الحكم من حيث التأييد، بينما يقف النصف الثاني من السوريّين، منتظراً أو مرتبكاً، ما تقديركم؟

السؤال الثاني: يبدو لي سلوك التمرّد مماثلاً لسلوك الحكم، من حيث الطابع الانتحاري، فلا الحكم يقدّم الإصلاح المطلوب، لعجز أو معاندة، ولا المتمرّدون قادرون على إظهار البديل في صورة واضحة أو مقنعة، لغايةٍ هم إليها أو لواقعةٍ هم فيها. وطالما أنّ الحكم في سوريا يكاد يكون النظام والنظام يكاد يكون الدولة ولا ظهور للشعب إلاّ في صورة جماعة دون غيرها، فإنّ القول بإسقاط النظام دون القدرة على إظهار النظام البديل، حيث يكون للسوريّين أن يظهروا شعباً واحداً باتجاههم أو بتوجيههم في أفق واحد، لا يخرج عن كونه سلوكاً انتحاريّاً ، في وصف، أو استشهاديّاً، في وصف آخر، ومن الناحية الواقعيّة الأمر سواء، بالنسبة إلى الكيان السوريّ. ما رأيكم؟

السؤال الثالث: يبدو لي أنّ المعارضة السوريّة معارضات كثيرة. لكنّ هذه المعارضات، إجمالاً، تجتمع في ما يظهر على أمر واحد هو التغيير(بإصلاح النظام أو باستبداله تماماً)، وإذا كنتم عاجزين عن الاتّفاق على مضمون البديل لماذا لا تسعون إلى الاتّفاق على طريقة الوصول إلى ذلك المضمون، أي على الإجراءات المطلوبة؟ وهذه هي الحالة التي يكون فيها للسوريّين إرادة بما هم شعب، لا وصاية عليه، دينيّة أو علمانيّة، لماذا لا تطرحون فكرة الجمعيّة التأسيسيّة لدستور جديد، فتوضحون كيف يكون انتخاب هذه الجمعيّة التأسيسيّة وميثاق عملها ومهلة قيامها بهذا العمل؟ إنّ هذا الطرح صالح لا لتوحيد المعارضة فحسب بل لدعوة كلّ السوريّين إلى الاحتكام إليه. أليس المقصود "حكم الشعب" أي الديمقراطيّة؟ إذاً، كيف لنا أنْ نعرف ما هي إرادة هذا الشعب، بل كيف يكون لهذا الشعب وجود بلا نظام معيّن لإيضاح هذه الإرادة؟ وهذا السؤال هو نفسه لو صرتم قائمين بأعمال الحكم، وهو يفرض نفسه الآن طريقاً لا بدّ منه للوصول إلى ما تسموّنه الديمقراطيّة.

طلال الحسيني